تعليــق
الشيخ ناصر الألباني
على مقال
الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى
للشيخ عيد عباسي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد .. فسنذكر بعض نقاط ، اثنتان منها من باب التنبيه والتذكير والأخرى من باب التوضيح والتأكيد والبيان .

المسألة الأولى من المسألتين ، جاء في تضامين كلام الاستاذ عيد عباسي أنه ذكر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله ، أنه من الدعاة السلفيين ، وهو كذلك بلا شك ، ولكن الواقع يشهد بأنه سلفي في العقيدة ، وما دمتم سمعتم شيئاً من التفصيل في كلامه عن الدعوة السلفية وأنها تدعو إلى اتباع الكتاب والسنة ، كلاً حسب استطاعته كما سمعتم وأنها تحذر من اتخاذ التقليد مذهباً وديناً ، ما دام أن الدعوة السلفية ، هذا من مذهبها ، فلا بد أن نعلم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان سلفياً في العقيدة ، وله الفضل الأول من بعد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله جميعاً في نشر دعوة التوحيد في العالم الإسلامي بصورة عامة وفي البلاد النجدية والحجازية فيما بعد بصورة خاصة ، يعود الفضل إليه بعد ابن تيمية ، ولذلك فلعل انكبابه واشتغاله في دعوة الناس إلى ذلك التوحيد الخالص المصفى من أدران الشرك والوثنية لكل التفاصيل هو الذي صرفه عن اشتغاله باتمام الدعوة السلفية ، وذلك بمحاربة الجمود على التقليد وعلى التمذهب الذي صار فيما قبل زمانه وفي زمانه وفيما بعده صار دينا ، كل من ترك التقليد نبذ بالزيغ والانحراف ونحو ذلك مما ألمح الاستاذ المحاضر اليه في كلمته السابقة ، وهو من هذه الحيقية أي من حيث أنه كان يدعو إلى التوحيد دون سوى ذلك مما يتعلق بالاسلام المصفى على نحو ما سمعتم يختلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فان ذلك الشيخ الجليل قد دعا إلى الاسلام بكل نواحيه أن يفهم على الوجه الصحيح ، على التفصيل الذي سمعتموه ، فهو مثلا يحذر من الأحاديث الضعيفة ويحذر من بناء الأحكام الشرعية عليها ، وهو إلى آخر ما هنالك من تفاصيل ذكرها الأستاذ بخلاف الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فلم تكن له هذه العناية ، لا في الحديث ولا في الفقه السلفي ، فهو من الناحية المذهبية حنبلي ، ومن الناحية الحديثية كغيره ، فليس له آثار في الفقه تدلنا على أنه كابن تيمية سلفي

المنهج في التفقه في الدين ، لعل له في ذلك عذراً كما ألمحنا إليه آنفاً ، كذلك في الأحاديث فهو كغيره مع الأسف الشديد لا معرفة عنده بالحديث الصحيح والضعيف . ومن الأدلة التي تدلنا على هذا أن له رسالة مطبوعة متداولة عند أتباعه النجديين حتى اليوم أسمها آداب المشي إلى المسجد ، وقد أورد في مطلع هذه الرسالة الحديث المعروف عند المسلمين عامة إلا القليل منهم بضعفه وهو حديث أبي سعيد الخدري الذي أورده الإمام ابن ماجة في سننه من طريق الفضيل بن مرزوق عن عطيه السعدي أو العوني وهو مشهور بالعوني أكثر ، عن عطيه العوني عن أبي سعيد الخدري قال « كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته للمسجد قال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا ... » إلى آخر هذا الحديث ، فهو أولا أورده دون أن ينبه إلى ضعفه مع أن فيه علتين أثنتين ، لو واحدة منهما استقلت لنهضت بتضعيف الحديث فكيف بالعلتين مجتمعتين معا ، وثانياً أن ظاهر هذا الحديث يخالف ما كان يدعو إليه من عقيدة ، ومن أفراد التوحيد والدعوة لله عز وجل وهو التوسل بالمخلوقين ، فهو كابن تيمية وككل سلفي بصير في سلفيته وفي دعوته يحارب التوسل إلى الله بعباد الله عز وجل وفي هذا الحديث في ظاهره التوسل إلى الله بحق السائلين وبحق هذا العبد الذي يمشي إلى طاعة الله وإلى عبادته ، أقول هذا غير ناس أن الحديث لو صح لأمكن تأويله كما ذكرته في بعض مؤلفاتي لكن موضع الشيخ في هذا أنه أورده كأدب من آداب المسجد ، اذا خرج المسلم من بيته فعليه أن يدعو بهذا الدعاء وهو حديث ضعيف .

وهذا يدل على أن شيخ الإسلام الثاني في التوحيد محمد بن عبد الوهاب ، ليس كشيخ الإسلام الأول ، أنه كان سلفياً في كل نواحي الدعوة ومجالاتها الكثيرة ، هذه هي الناحية الأولى أردت التنبيه عليها ، وهذا طبعاً من باب اعطاء كل ذي حق حقه ، نحن بلا شك لا يسرنا أبداً أن ينال أحد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما يفعل أعداء الدعوة وأعداء التوحيد حيث يتهمونه بكل ما أتهم به السلفيون في كل بلاد الدنيا ، ولكن هذا لا يحملنا على الغلو في اعطاء كل شخص من حملة الدعوة السلفية ما ليس فيه ، فيجب أن نفرق بين ابن تيمية وبين محمد بن عبد الوهاب ونعطي كل ذي حق حقه .

ومن أجل هذا فقد قلت ما قلت ، وإلا فشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب له منزلته في الدعوة عندنا بعد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

التنبيه الثاني ، جاء في كلام الاستاذ عيد عباسي ، في صدد تحدثه عن توحيد الربوبية وأن هذا التوحيد يعتقده جماهير الناس والأمم حتى المشركين ، وهذا كلام حق ، ولكن جاء في أثناء كلامه بأنهم يعتقدون بالله أنه خالق مدبر حكيم ، فأنا أريد أن ألفت النظر ولهدف غير الهدف الظاهر من كلمتي هذه ، قوله أن المشركين كانوا يعتقدون بأن لهذا الكون إلهاً خالقاً مدبراً ، لو وقف إلى هذا لكان الكلام مسلماً به ، ولكنه أضاف إلى ذلك وصفاً وصفة أخرى ، وهي صفة حق لله تعالى ولكنه نسب إلى الكفار أنهم كانوا يعتقدون بالله هذه الصفة أيضاً وهو أنه حكيم .

من المؤسف أن أقول وهذا هو الشيء الآخر الذي أرمي إليه بهذا الكلام ، أن اعتقاد أن الله حكيم ليس فقط مما كان لا يعتقده المشركون الذين كانوا يشركون في توحيد الألوهية وفي توحيد الصفات كما سمعتم شيئاً من التفصيل في ذلك ، ليس المشركون هؤلاء وحدهم كانوا لا يعرفون الله حكيماً ، يعرفونه خالقاً مربياً مدبراً ، أما أنهم يعرفونه حكيماً فلا ؛ ولكن مع الأسف الشديد هناك جماهير من المسلمين اليوم لا يعتقدون هذه الصفة لله رب العالمين ، هذا ما أردت التنبيه عليه ، يعني وصف المشركين بأنهم يعتقدون بأن الله حكيم هذا خطأ لأننا نعلم أن هذه الحكمة هي في كثير من الأمور ايمانية ، ومن أجل ذلك شك في هذه الصفة بعض المذاهب الإسلامية ولا أقصد الحط ، ولذلك أقول بأن كتب الأشاعرة طافحة بأن الله عز وجل لا يوصف بأنه حكيم ، مع علمهم بأن هذا الأسم مذكور في القرآن الكريم ، لأنهم يتأولون هذا الاسم حكيم ، بأنه من الحكم وليس من الحكمة ، فهو حكيم على وزن فعيل بمعنى فاعل أي أنه حاكم ، أما أنه حكيم بمعنى أنه يضع الشيء في محله مقروناً بالحكمة ، فهذا مع الأسف الشديد لا أقول أن الأشاعرة لا يؤمنون به بل يصرحون بنفيه وكتبهم طافحة بذلك وشبهاتهم معروفة لأنهم يتساهلون فيقولون ما الحكمة من تعذيب الأطفال ، أين الحكمة في تعذيب الأطفال ، أين الحكمة في تعذيب الحيوانات ، لا شك أن المسلم المؤمن بحكمة الله عز وجل يقول قد جاء أن الحكمة في تعذيب الأطفال وأن كان بعض علماء التوحيد المؤمنون بهذا الاسم حكيم ، وبمعناه الصحيح يحاولون أن يوجدوا الحكمة الظاهرة في تعذيب الأطفال وفي تعذيب الحيوانات ولكن أنا في اعتقادي ليس كل مسلم يستطيع أن يستكشف الحكمة الالهية في كل تصرف إلهي ، ولذلك فلا بد في نهاية الأمر من الإيمان ، الايمان من الشرط الأول في وصف المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، فالإيمان بالغيب هو الفصل الحق بين المؤمن الصادق والمؤمن الكاذب ، فإذا نحن عرفنا الله عز وجل بأنه وصف نفسه بأنه حكيم ، فيجب أن نؤمن سواء ظهرت لنا الحكمة أو لم تظهر ، على أن حكمة العليم الحكيم واضحة بينة في هذا الخلق المشهود لا سيما المتخصصين في دراسة نظام هذا الكون ، لكن تبقى هناك أمور كثيرة أو قليلة تخفي الحكمة فيها على كل الناس أو جل الناس أو أقل الناس ، فما الذي يخيفنا أن نقول ونسلم تسليماً ، عَجْزُ الأشاعرة عن أن يقفوا على الحكمة في بعض تصرفات الله عز وجل فيما يخلق حملهم إلى الانحراف من هذا النص القرآني ، فيقول الله قال : ﴿ فعَّال لما يريد ﴾ ، ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ ، يعني يفعل مالا حكمة فيه ، مالا عدل فيه ، فعال لما يريد يعني كأي جبار في الأرض يتصرف في حدود جبروته دون أن يتقيد بعدل أو بحكمة ، هذا وهم يقولون ليس كمثله شيء ويغالون في ذلك حتى نفوا عنه الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه في حديثه ، ومع ذلك يتأولون هذه الصفات ، لماذا ؟ قالوا تنزيهاً لرب العالمين ، ثم ينسون هذا كله ، فيصفون الله عز وجل بمثل ما يصفون به الجبابرة ، انه فعّال لما يريد بدون عدل وبدون حكمة .

ومن هنا توصلوا إلى التصريح بقولهم في عقيدة الجوهرة المشهورة عند الأشاعرة ، لله تعذيب الطائع واثابة العاصي ، وشرح هذا عند بعضهم ممن لا يستحي ولا يخجل أن الله تبارك وتعالى

عما يقول الظالمون علوا كبيراً ، له أن يدخل محمداً ﷺ في الدرك الأسفل من النار مكان ابليس الرجيم وأن يرفع ابليس إلى الدرجة الوحيدة التي قال عنها الرسول عليه الصلاة والسلام أرجو أن أكون أنا في الحديث المعروف لديكم جميعا ، قالوا هذا في كتبهم ، له إثابة العاصي وتعذيب الطائع فلماذا لا يعذب الحيوان ولماذا لا يعذب الطفل الذي لايعرف المعصية وهم يقولون لله أن يعذب الطائع وأن يدخل الرسول في الدرك الأسفل من النار وأن يرفع ابليس لأعلى درجات الإيمان ، من أين أخذوا هذا من اطلاقات الآيات الكريمة ﴿ فعّال لما يريد ﴾ فهل فعّال لما يريد بمعنى أنه لا عدل عنده أو لا حكمة عنده حاشا لله ، ولذلك نقول دائماً كل مسألة يجب أن تضم النصوص فيها بعضها إلى بعض وتؤخذ الخلاصة من مجموعة النصوص فـ (فعّال لما يريد) معناها أنه لا يحول أحد بينه عز وجل وبين ما يريد أن يفعله ولكن ليس معناه أنه ليس بحكيم وليس بعادل ، كيف والله عز وجل يقول ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، ما لكم كيف تحكمون ﴾ الجبابرة من العبيد قد يفعلون هذا كما هو الواقع اليوم يرفعون السفلة المجرمين في وظائف ومنازل رفيعة جداً ويعكسون فيجعلون الصالحين في وظائف يستطيع أن يقوم بها الأطفال ، هذا شأن الجبابرة ، أما الله عز وجل الجبّار بحق والحكيم العليم فهو منزه عن كل شيء ينافي صفة الكمال لله سبحانه وتعالى . هذا ما أردت التنبيه عليه بالمناسبة ، وأنا أريد كما قلت أن أرمي عصفورين بحجر واحد ، العصفور الأول أن لا نصف الكفار بأنهم كانوا يعتقدون بأن الله حكيم لأن بعض المسلمين ما آمنوا به مع أن الله عز وجل أنزل هذه الصفة في القرآن الكريم ، والعصفور الثاني لفت النظر إلى أهمية الدعوة السلفية التي تدعو المسلمين جميعاً إلى الرجوع للكتاب والسنة ، دون انحراف إلى الأخذ بأقوال علماء الكلام ، ففي أقوال علماء الكلام ما هو إلحاد وكفر بالقرآن وهذا مثاله قد جاءكم من باب التحذير من وصف الكفار بأنهم في الوقت الذي يقولون بأن الله خالق ومدبر للكون يؤمنون بأنه حكيم ، هذا اذا آمن به المسلمون فهذا هو واجبهم لأن الله ذكر لهم في القرآن ، أما الكفار الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى آخره فلا يمكن أن يؤمنوا بأن الله حكيم لأن حكمته تخفى في كثير من الأمور ومن أجل ذلك وقعت الأشاعرة في هذا الانحراف الخطير .

المسألة الثالثة وهي في الواقع زيادة بيان لبعض ما جاء في كلام الأخ عيد عباسي من أن الدعوة السلفية تلتقي مع الدعوات الأخرى كلها قديمها وحديثها مما يحوم دعاتها في دائرة الإسلام ، كلهم يلتقون في كلمة سواء وهي أنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة ، فالدعوة السلفية من هذه الحيثية لامزية لها على سائر الدعوات خاصة ما كان منها قائماً في العصر الحاضر اليوم ، ولكن انما تتميز الدعوة السلفية في هذا المجال الذي يدندن الجميع حول الكتاب والسنة ، أنهم يدعون إلى فهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ، لا يكتفون فقط بدعوة المسلمين إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، بل يزيدون على ذلك الرجوع إلى الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ، لأن هذه الطرق الكثيرة التي أشار إليها الرسول عليه الصلاة والسلام إشارة عابرة في حديث الفرق

الثلاث والسبعين ، قال عنها (كلها في النار إلا واحدة ، قال من هي يارسول الله قال ما عليه أنا اليوم وأصحابي) وفي طريق أخرى وهي أصح قال (هي الجماعة) وفي الحديث الآخر (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) إلى آخر الحديث . فنجد هنا في الحديثين تنبيهاً إلى هذا القيد الذي يتمسك به السلفيون من بين سائر الدعاة (الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح) لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ما قال ما أنا عليه فقط وإنما قال وأصحابي ، ما قال عليكم بسنتي فقط وإنما قال وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وهذا في الواقع اقتباس من القرآن الكريم مثل قوله عز وجل ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ فالله عز وجل قال ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ ، لماذا جاء بهذه الجملة ؟ هذه الجملة بيانية خطيرة جداً ، كان يكفي أن يقول ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي نوله ما تولى ، ولكنه أضاف إلى مشاققة الرسول قوله عز وجل ويتبع غير سبيل المؤمنين لحكمة بالغة ألا وهي أن مشاققة الرسول انما تظهر بمخالفة سنة المؤمنين ومنهج السلف الصالح الذي سمعتم عنه سابقاً لذلك يقول ابن القيم تأكيداً وإشارة عابرة سريعة إلى هذا القيد في فهم الكتاب والسنة يقول : العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ، أيضاً لم يكتف بقوله العلم قال الله قال رسوله كما يقول جماهير المسلمين وانما أضاف إلى ذلك قال الصحابة .

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا حجر الصفات ونفيها حذراً من التعطيل والتشبيه

أريد باختصار أن أوضح أن الدعوة السلفية تدندن من جملة من ماتدندن حول فهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ، ومن هنا تأتيهم العصمة من الوقوع في العقائد التي تكلم عنها علماء الإسلام وانها انحرفت عن الجادة كالمعتزلة وكالمرجئة وكالجبرية ونحو ذلك ، ومن الأفكار الحديثة اليوم التي يتكلم بها ويسطرها كثير من الكتّاب الإسلاميين باسم الإسلام وهي ليست من الإسلام في شيء ولا يمكن لأحد من أهل العلم أن يعرف ذلك إلا إذا كان متمسكاً بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ، هذه ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين وبهذا القدر كفاية والحمد لله رب العالمين ..

